ملخص البحث:

احتلت الدراسات التي تعمل على إبراز المبادئ والقيم والأخلاق الإسلاميَّة مكانة عظيمة في تاريخ حضارتنا الإسلاميَّة، فلا شك أنَّ ثقافة التسامح والعفو تعمل على تحقيق المحبة والتعاون والألفة بين كافة أفراد المجتمع، ومن هذا المنطلق كان موضوع جَوَانِبُ مِنَ التَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ فِي الْحَضَارَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ (الْمَأْمُونُ نُمُوذَجًا) (١٩٨-٢١٨هـ /٨١٣- ٨٣٣م)، حيث تناول مفهوم التسامح والعفو في اللغة والاصطلاح، ثم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحثُّ على التسامح والعفو، واشتمل الحديث عن التسامح والعفو عند النبي -ﷺ- وصحابته الكرام -رضي الله عنهم-، ثم التسامحُ والعفو مع المعارضين السّياسيّين، وذلك من خلال تسامحُ الخليفة المأمون مع العلويين، والتسامحُ والعفو مع الأمراء، والوزراء، وكبار موظفي الدولة، ثم تسامح وعفو المأمون مع العلماء، والتسامح والعفو مع الرعية.

الكلمات المفتاحية: التسامح – العفو – الحضارة - الإسلامية – الخلفاء – العباسيين – المأمون - الأمويين – العلويين – القادة – العلماء.

Aspects of tolerance and forgiveness in Islamic civilization (almamun model)
(١٩٨-٢١٨ AH /٨١٣-٨٣٣ AD)

***Reda Al-Saeed Ibrahim Mohammed**
Lecturer of History and Islamic Civilization, Department of History and Civilization, Al-Azhar University – Egypt
Email: redaalsaeid.٣٢@azhar.edu.eg

Studies that highlight Islamic principles, values and ethics have occupied a great place in the history of our Islamic civilization. There is no doubt that the culture of tolerance and forgiveness works to achieve love, cooperation and intimacy among all members of society. From this point of view, the subject of aspects of tolerance and forgiveness in Islamic civilization ((almamun a model) (١٩٨-٢١٨ AH /٨١٣-٨٣٣ AD) where he dealt with the concept of tolerance and forgiveness in language and terminology, then Qur'anic verses and prophetic hadiths that urge tolerance and forgiveness

Then talk about the benefits of forgiveness and tolerance, and included the talk about tolerance and forgiveness with the Prophet x and his honorable companions - may God be pleased with them , then tolerance with political opponents, through .

Then tolerance with political opponents, through the tolerance of the Caliph al-Ma'mun with the Alawites, and tolerance and pardon with the princes, ministers, and senior state officials, then the tolerance and pardon of al-Ma'mun with the scholars, and tolerance and pardon with the subjects.

Keywords: tolerance - pardon - civilization - Islamic – caliphs- Abbasids – almamun- Umayyads - Alawites - leaders – scholars.

المقدمـــة

الحمدُ لله الذي أَعزنَا بنعمةِ الإسلامِ، وجعل التاريخَ عبرةً لذوي الافهامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ الأنامِ سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آلهِ وصحابتهِ الكرامِ.

وبعد،،،

فمما لا شك فيه أنَّ العفو خلق عظيم، وصفة نبيلة لا يتحلَّى بها إلَّا الأخيار وأهل اللين والسماحة، وقد حثّت الكثير من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويَّة على التحلِّي بالتسامح والعفو، ولا شك أنَّ مجتمعاتنا في حاجة ماسةٍ إلى إقرار مبدأ العفو والتسامح والصفح؛ ليسودها الأمن والعدل والسلام والاستقرار، فمن خلال إبراز قيم التسامح والعفو تسمو رسالة الدين الإسلاميّ، وما يترتب عليه من دخول العديد من النَّاسِ في رحابه، ومن ثَمَّ فإنَّ التخلق بخلق العفو والصفح يُرغِّبُ النَّاسَ في الدين، تأسيًّا بهدي النبي ﷺ؛ وذلك يؤدي إلى شدَّ أواصر التعاون والتقارب والتسامح بين النَّاسِ، فمن خلال تحلّي الفرد بهما يشعر بالسكينة والسَّلام النفسيّ، ويسود المجتمع الطمأنينة والاستقرار.

لذلك كان موضوع جوانب من التسامح والعفو في الحضارة الإسلاميَّة (المأمون نُمُوذَجًا) (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣- ٨٣٣م)، حيث يُعَدُّ عهد الخليفة المأمون العباسيّ من أزهي عهود بني العباس ثراءً وازدهارًا في كافة المجالات، ويحاول البحث الردّ على النظرة القاصرة لبعض المؤرخين الذين نظروا إلى العصر العباسيّ على أنه عصر اضطهاد ووحشية ودمويّة، وليس فيه أي مظاهر للعفو والتسامح ضد المخالفين، فمن الإجحاف نشر المساوئ دون المحاسن، وليس الأمر كذلك، فالعصر العباسيّ مثله كأيّ عصر، له محامده وسلبياته، حيث عمل العديد من خلفاء بني العباس – وفي مقدمتهم المأمون – على إقرار مبادئ التسامح والعفو؛ وذلك لإرساء دعائم حكمهم، وبث الأمن والاستقرار في كافة ربوع الدولة، ولاشك أنَّ هذه السِّياسة قد عملت على لمِّ شمل الدولة، ثم تطويع العديد من القادة والولاة الذين صدر بحقهم عفو على خدمة أغراض الخلافة. وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث: المبحثُ الأوَّلُ: التسامحُ والعفو مع العلويين. ثم المبحث الثَّاني: التسامحُ والعفو مع الأمراء والوزراء وموظفي الدولة. وجاء المبحثُ الثَّالثُ بعنوان: التسامح والعفو مع العلماء والرعية.

تمهيد

مفهوم التسامح والعفو : التسامح لغة : سامحَ يسامح، مُسامَحةً، فهو مُسامِح، سامح فلانًا بذنبه: صفح عنه[١]. ومنه قول النبي ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى" [٢]. والعفو لغة : مصدر عفا عن، وعُفِيَ عَفْوًا، والعَفْو عند المقدرة: ترك المعاقبة عند التمكُّن منها. وعَفْوٌ عامٌّ شامل: إسقاط العقوبة عن جميع المذنبين [٣].وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه [٤]. وعرف الغزالي العفو بقوله: الْعَفْوِ أنَّ يستحق حقًّا فيسقطه، ويبري عنه من قصاص أو غرامة [٥].

التسامح والعفو في القرآن والسنة: تعددت الآيات القرآنية التي تدعو إلى تحلِّي المسلم بالتسامح، وتغليب جانب العفو والصفح، ومنها : قوله تعالي: ﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٦]. وقوله جلَّ شأنه: ﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ...﴾ [٧]. وقوله تعالي:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾ [٨].

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ١١٠٥.

(٢) البخاري: (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء، حديث رقم ٢٠٧٦، ج٣، ص٥٧.

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص١٥٢٣.

(٤) ابن منظور: (محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١٥، ص٧٢.

(٥) الغزالي: (أبو حامد محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ/ ١١١٢م)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج٣، ص١٨٢.

(٦) سورة آل عمران، آية ١٣٤.

(٧) سورة المائدة، آية ١٣.

(٨) سورة الأعراف، آية ١٩٩.

أما الأحاديث الواردة في التسامح والعفو فمنها: - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ".(١). و عن أبي هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ". (٢).

التسامح والعفو عند النبي ﷺ وصحابته الكرام: لقد كان النبي ﷺ أعظم النَّاسِ خُلقًا وحلمًا وتسامحًا مع كلِّ النَّاس، فكان حلمهُ يسبق تصرفه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلَّا حلمًا، فيسامح ويعفو ويصفح عن المشركين واليهود رغم أذاهم له؛ ليبين لهم أخلاق الدين الحنيف، فترقَّ قلوبهم في الدخول إلى الإسلام، ويسامح أصحابه الكرام ـ ﷺ ـ على زلاتهم؛ ليزدادوا حبًّا له، وكيف لا يكون، وهو الجامع لمكارم الأخلاق، قال المولي عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣). ومن أبرز صور تسامح وعفو النبي ﷺ : عفوه عن زعيم المنافقين عبدالله بن أبيٍّ بن سلول الذي آذى رسول الله ﷺ في عرضه ووصف أهله بأقذع النعوت، وتسبب في حزن عظيم للنبي ﷺ ، ومع ذلك فإنَّه لمَّا مرض زاره النبي ﷺ ، ثمَّ لمّا مات صلى عليه وتبع جنازته، بل ونزل في قبره وخلع قميصه ولفَّه فيه، وردَّ على مَنْ أنكر ذلك من أصحابه بقوله: "إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا ..."(٤). وعلى نهج النبي ﷺ سار صحابته الكرام ـ ﷺ ـ على منهج التسامح والعفو، ومن أبرز صور العفو عند الصحابة ـ ﷺ ـ عفو أبي بكر ﷺ (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) عن مسطح بن أثاثة، وكان مسطح بن أثاثة ممن تكلم في الإفك، فلما أنزل الله براءة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قال أبو بكر ﷺ : - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة؛ لقرابته منه وفقره- والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قاله؛ فأنزل الله: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

---

(١) أبو داود: (أبو داود سليمان بن الأشعث بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، باب الإمام يأمر بالعفو، حديث رقم ٤٤٩٧، ج٤، ص١٦٩.

(٢) مسلم: (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨،ج٤، ص٢٠٠١.

(٣) سورة القلم، آية ٤.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، ج٢، ص٩٧.

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(١). قال أبو بكر ﷺ : بلى والله إِنِّي لأحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إليه النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا" (٢).

التسامح والعفو عند الخلفاء العباسيين : اقتفى العديد من خلفاء بني العباس أثر النبي ﷺ، وصحابته الكرام – رضوان الله عليهم – فقد ساسوا النَّاسَ سياسةً ممزوجةً باللين والمسامحة، وبالحزم والقوة مرة أخرى، وقد تعددت القصص والأحداث على مرِّ التاريخ التي سطر فيها خلفاء بني العباس أروع الأمثلة في التسامح والعفو، ومنها: وصية الخليفة المنصور(١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٤- ٧٧٥م) لابنه المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥ - ٧٨٥م) حين عَهِدَ له بولاية العهد: " استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتألف، والنصر بالتواضع، ولا تنس مع نصيبك من الدُّنيا نصيبك من رحمة الله" (٣). ومن أبرز الصور: عفو الخليفة أبي جعفر المنصور عن سفيان بن معاوية المهلبي(٤)، والي البصرة، الذي كان مداهنًا لإبراهيم الإمام(٥) في الباطن أثناء ثورته بالبصرة ضد المنصور، ويبلغه أخباره فلا يكترث بها، ويكذب مَنْ أخبره (٦)، ولما داهن داهن سفيان بن معاوية في شأن إبراهيم بن عبد الله، وصار سفيان إلى المنصور، أمر الربيع بن يونس الحاجب، فخلع سواده، ووقف به على رؤوس النَّاسِ في المقصورة يوم الجمعة، ثم قال: "يقول لكم أمير

---

(١) سورة النور، آية ٢٢.

(٢) صحيح البخاري، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون، حديث رقم ٤٧٥٠، ج٦، ص١٠١.

(٣) الطبري: (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٨، ص٧١.

(٤) سُفْيَان بْن مُعَاوِيَة بْن يَزِيد بْن الْمُهلب، ولي البصرة مرتين: الأولى: عام ١٣٧هـ/٧٥٥م، والثانية: عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م، وهو الذي قتل عبد الله بن المقفع؛ لاتهامه بالزندقة . خليفة بن خياط: (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج١، ص٤١٧، ٤٢١، ٤٣١.

(٥) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، كان يألف الوحدة هو وأخوه محمد، وكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة، قُتِّل بعد مقتل أخيه في ذي الحجة عام ١٤٥هـ/ مارس٧٦٣م، وليس له شيء في الكتب الستة. ابن كثير: (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج١٠، ص٩٥.

(٦) ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٩١.

المؤمنين: قد عرفتم ما كان من إحساني إليه، وحسن بلائي عنده، والذي حاول من الفتنة والغدر والبغي وشقِّ العصا ومعاونة الأعداء، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم، وغادركم لوفيكم" (١). وتتجلي أبرز صور التسامح والعفو خلال هذه الفترة في عفو المنصور عن معن بن زائدة (٢)، أحد أبطال الإسلام وعين الأجواد، كان من كبار الأمراء، مُتَوَلِّي العراقَيْن (البصرة والكوفة)، وكان من رجالات الدولة الأموية وقادتها البارزين، وقد أذاق الويل لأبي جعفر المنصور أثناء حصاره لمدينة واسط – احدى مدن العراق–، وكان يُعَدُّ لهم كمائن، فلما قامت خلافة بني العباس، اختفى معن مدة، والطلب عليه حثيث، وفي سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م خرجت طائفة يقال لها: الراوندية(٣) على المنصور، وحار المنصور في أمره، فظهر معن وقاتلهم، فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، مَنْ تكون؟ فكشف لثامه، وقال: أنا طلبتك معن، فسرَّ به، وقدَّمه، وعظَّمه (٤)، وأمر له المنصور بعشرة آلاف، ورضي عنه و ولاه اليمن (٥). ومن أبرز صور العفو عند المنصور عفوه عن الرجل الذي ثار على عامله بفلسطين، وأفسد النَّاسَ عليه، وعاث فسادًا، فكتب المنصور لعامله: أَنْ قَيِّدْهُ وأنفِذْهُ إليَّ، فأنفذه، فلما مَثُلَ بين يديه، قال: المنصور: أنت المتوثب على عاملي، لأبرين لحمك من عظمك، وكان شيخًا، ضئيل الصوت، فقال: أتروض عرسك بعدما

---

(١) الجاحظ: (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢، ص٧٧.

(٢) أبو الوليد الشيباني، له أخبار في السخاء والشجاعة، وله نظم جيد، ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد بن مزيد الأمير، في سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م، وقيل: سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م . الذهبي: (شمس الدين محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٧، ص٩٨.

(٣) أصلهم من خراسان، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني، كانوا يقولون بالتناسخ، ويزعمون أنّ روح آدم – عليه السلام – انتقلت إلى عثمان بن نهيك، وأنّ ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور، وأنّ الهيثم بن معاوية جبريل، فأتوا يومًا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به، ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضبوا من ذلك وثاروا عليه. ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٧٥، ٧٦

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٩٧، ٩٨.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٠، ص٧٥، ٧٦.

هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم. فلم يفهم المنصور ما قال، فقال: ما يقول يا ربيع[١] ؟ قال: إنه يقول: العبد عبدكم، والمال مالكم، فهل عذابك عني اليوم مصروف. قال: يا ربيع قد عفوت عنه، خلوا سبيله، وأحسن إليه[٢].

والجدير بالذكر أنَّ مفهوم العفو قد توسع عند الخلفاء العباسيين وشمل كل طوائف المجتمع، حتي بني أمية، خصومهم التاريخيين، ففي عهد أبي جعفر المنصور الذي يُعَدُّ المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، بدأ الأمويون يظهرون إلى العلن تباعًا، وتطور هذا التسامح والإحسان العباسي بحقِّ نساء بني أمية لمصاهرات بينهما، التي لم تقتصر على قادة البيت العباسي، وإنما شملت الخلفاء أنفسهم، حيث تزوج الخليفة الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩م) ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانية، ويقال لها الجرشية؛ لأنها وُلدت بجرش باليمن [٣]. كما أقدم الخليفة هارون الرشيد على خطوة فريدة لم تتكرَّر طوال العصر العباسي، حينما ولَّى واليًا أمويًّا على إحدى المدن، وهو محمد بن عبدالله بن سعيد حفيد عثمان بن عفان، الذي تزوَّج الرشيد أخته عائشة وعيَّنه واليًّا على مدينة مكة[٤]. كما أكرم هارون الرشيد شعراء بني أمية وأجزل لهم العطاء، حيث تصدى رجل من بني أمية لهارون الرشيد فأنشده:

يا أمين الله إني قائل ... قول ذي فهم وعلم وأدب
عبد شمس كان يتلو هاشمًا ... وهما بعد لأم ولأب
فاحفظ الأرحام فينا إنما ... عبد شمس عم عبد المطلب
لكم الفضل علينا ولنا ... بكم الفضل على كل العرب

---

(١) المراد الربيع بن يونس، حاجب المنصور.

(٢)الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٩٧، التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص٣٧٦ .

(٣) ابن حبيب: (محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج١، ص٦٠، ٦١، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٢٢٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٣٤٦، ٣٦٠.

فأحسن جائزته ووصله [١]. ولعل تقريب الخلفاء العباسيين لهؤلاء النفر من بني أمية وإدخالهم في صحابتهم، ناتج عن الرغبة في الوقوف على أخبار الخلفاء الأمويين، وسيرهم وطريقة إدارتهم للدولة، والأخطاء التي وقعوا بها للاعتبار والاتعاظ بها.

ومن أبرز هؤلاء صور التسامح والعفو في عهد هارون الرشيد: عفوه عن أبي نواس[٢]؛ لشربه الخمر، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر بحبسه ثلاثة أشهر، ثم دعاه الرشيد وجيء بالسيف والنطع يهدده بالقتل، فأنشده أبو نواس هذه الأبيات:

تحسنت الدُّنيا بحسن خليفة ... هو البدر إلَّا أنه الدهر مقمر

أيا خير مأمول يرجى، أنا امرؤ ... رهين أسير في سجونك مقفر

مضى أشهر لي مذ حبست ثلاثة ... كأني قد أذنبت ما ليس يغفر

فإن كنت لم أذنب ففيم تعقبي! ... وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكثر

فقال له محمد: فإن شربتها؟ قال: دمي لك حلال يا أمير المؤمنين، فأطلقه، فكان أبو نواس يشمها ولا يشربها وهو قوله: لا أذوق المدام إلَّا شميًا[٣].

---

(١) ابن عبد ربه: (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) العِقد الفريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) أبو نواس الحسن بن هانئ بن جناح بن عبد الله بن الجراح، المعروف بأبي نواس، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي، و زيد النحوي، وحفظ أيام النَّاسِ، ونظر في نحو سيبويه، وغلب عليه حب اللعب واللهو والمجون، توفي سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م، وعمره تسعًا وخمسين سنة . ابن الجوزي: (جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٠، ص١٦ ، ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٥، ص٤٢٠، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٢٢٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٥١٦.

وهكذا لعبت ثقافة العفو التي اتبعها بعض خلفاء بني العباس دورًا في تغيير سلوكيات بعض الشعراء من الخلاعة إلى الزهد والعبادة، فهذا الشاعر أبو نواس قد تزهد في الدُّنيا أواخر حياته، وأكثر من الشعر العفيف، فكان آخر ما أنشد وهو على فراش الموت:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك ربى كما أمرت تضرعًا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

إن كان لا يرجوك إلَّا محسن ... فمن الذي يرجو المسيء المجرم(١).

واتصل الخبر بهارون الرشيد أن الشافعيّ (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) يريد أن يخرج بأرض اليمن عَلوِيًّا – وكان الخبر باطلاً – حيث كتب إليه أحد قُوَّاده باليمن، يخوفه شأن العَلويين، ويقول له: إنَّ بها رجلاً يقال له: محمد بن إدريس، يعمَل بلسانه ما لا يعمل المقاتل بسيفه، فغضب الرشيد، ثم قبض على الشافعيّ، ومعه بضعة عشر رجلاً، وقتل منهم تسعة، ثم أدخل الشافعيّ، فلما واجه الرشيد قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(٢). فقال الرشيد: أوليس الأمر كما قيل فيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وهل في الأرض علوي إلَّا وهو يظن أنَّ النَّاسَ عبيد له؟ فكيف أخرج رجلاً يريد أن يجعلني له عبداً، وأغدر بسادات بني عبد مناف، وأنا منهم، وهم مني؟! فسكن غضب الرشيد، وعفا عنه، ووصله بمال، فخرّ الشافعيّ لله – تعالى – ساجدًا (٣).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٣٤.

(٢) سورة الحجرات، آية ٦.

(٣) البيهقي: (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م) مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج١، ص١١١، ١٢٩، ١٤٢، ١٤٣.

المبحثُ الأوَّلُ: التسامحُ مع العلويين

تمتعت العلاقات بين العباسيين والعلويين قبل قيام الخلافة العباسية بالودِّ والمحبة، ولم يعكر صفوها أي شائبة؛ وذلك لأنَّ الدعوة العباسية قبل استعلانها كانت مبهمة؛ لأنّها كانت تدعو للرضا من آل محمد، وكان هذا الابهام مقصودًا؛ للمحافظة على حياة الإمام، وتجنيبه خطر التعرض لاضطهاد الأمويين من ناحية، ولأنَّ العباسيين من ناحية أخرى كانوا يرون أنَّ حقّ العلويين في المطالبة بالخلافة أقرب إلى عقول النَّاسِ وقلوبهم من مطالبتهم بهذا الحق، فلما نجحت الدعوة العباسية؛ بفضل حسن تدبير دعاتها من ناحية، ومساعدة الظروف لهم من ناحية أخرى، أثار ذلك النجاح حسد العلويين ذوي السابقة في خدمة الإسلام، ومقاومة الدولة الأموية، وعدوا بينهم وبين أنفسهم العباسيين مغتصبين للخلافة مثل الأمويين قبلهم [١]. وقد انقسم العلويون إلى فرعين: الأوَّلُ: الفرعُ الحسنيُّ، وتزعمه عبد الله بن الحسن[٢]، وكان من أشدَّ العلويين عداوة لبني العباس. والفرعُ الثَّانِيُ: الفرعُ الحسينيُّ: وتزعمه جعفر الصادق[٣]، الذي اهتم بنشر العلم، وعدم التدخل في شئون السياسة، واتبع موقفًا سلميًّا، حيث لم يدع إلى القتال ضد بني أمية [٤].

---

(١) علي أدهم: أبو جعفر المنصور، ط١، دار الكاتب العربي، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص١٠٢، مريم رزوقي وليد: الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول، ط١، العتبة الحسينية، العراق، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص٢١٣.

(٢) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، روى عن أبيه، وأمه فاطمة بنت الحسين، وعبد الله جعفر ، روى عنه سفيان الثوري، ومالك، وكان مُعظمًا عند العلماء، عابدًا، كبير القدر، ثقة، صدوقًا، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه، ووفد على السفاح فعظَّمه، وأعطاه ألف ألف درهم، مات عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٩٥.

(٣) أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بجعفر الصادق، كان عالمًا، زاهدًا، عابدًا، من جُلة علماء المدينة، سمع من أبيه، وعطاء بن رباح، والزهري، وحدِّث عنه: ابنه؛ أبو حنيفة، وابن جريج، وسفيان الثوري، وغيرهم، مات عام ١٤٨هـ/٧٦٥م. ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص١١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٥٥.

(٤) فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج١، ص١٠٣، سميرة مختار الليثي: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص٦٣، ٦٦.

وعلى كل حال اتخذ العلويون موقفًا عدائيًّا تجاه خلافة بني العباس؛ لاعتقادهم أنَّ العباسيين قد خدعوهم وسلبوهم حقًّا كان من المفروض أن يؤول إليهم؛ لأنهم أحقُّ به منهم؛ لقرابتهم الوثيقة من النبي ﷺ [١].وعلى الرغم من ذلك اتبع أبو العباس السفاح(١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٥٠ـ ٧٥٤م) في بداية خلافته سياسة قامت على تقريب العلويين؛ لما قاموا به من دور كبير في إسقاط بني أمية، حيث وصلهم وأغدق عليهم الأموال[٢]. فآثر بقاء الود والمحبة معهم، حيث كتب السفاح إلى عامله على المدينة بقوله: "قربني من رسول الله ﷺ بحفظ جيرانه، وإكرام أهل بيته، ولا تسلط هواك فيما وجب إسخاطي، فإنّ الله شاهديّ وأنت المأخوذ بالتقصير" [٣]. لكن حدثت بعض التصرفات من العلويين التي أغضبت السفاح، حتى كاد يتغير عليهم، لولا أنّ المنية عاجلته عام ١٣٦هـ/ ٧٥٤م [٤].

وقد اتبع الخليفة المهدي(١٥٨ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) سياسة اللين والتسامح مع العلويين، وأطلق سراح الكثير من المسجونين المعارضين، وقام بفك الحصار الذي فرضه والده على أهل الحجاز أثر تأييدهم لثورة ذي النفس الزكية [٥]. وفرق المهدي في أهل مكة مالًا كثيرًا جدًّا، حيث قدم معه بثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب، وجاء من مصر بثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار، فأعطاها كلها في أهل مكة والمدينة [٦]. ويبدو أن المهدي رأى في حسن معاملتهم وعفوه عنهم، محاولة منه في استرضاهم؛ ليركنوا إلى الهدوء وعدم إثارة القلاقل.

وفي عهد هارون الرشيد(١٧٠ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) استهل خلافته بالعفو عن العلويين، وأعطى لهم الأمان بعدما تعرضوا سياسة عنيفة في عهد سلفه الهادي(١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م)بعد معركة

---

(١) حسن فاضل العاني: سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، المكتبة الوطنية، العراق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٢٥٥.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٣٠٠، ٣٠١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٦٥٠، ٦٥١ ، الأصفهاني: (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٦٤.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص١١٧.

(٦) ابن كثير: البداية، ج١٠، ص١٣٢.

فخ[١] عام ١٦٩هـ/٧٨٦م، وأطلق سراح المسجونين منهم[٢]. كما تجاوز الرشيد عن الثائرين من العلويين: ففي عام ١٧٦هـ/٧٩٣م كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[٣] ببلاد الديلم[٤]، واتبعه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ فقويت شوكته، فانزعج لذلك الرشيد وقلق من أمره، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك[٥] في خمسين ألفًا، وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعدّه ويمنيه ويؤمله ويرجيه، وأنه إن خرج إليه أن يقيم له العذر عند الرشيد، فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده، فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك، ففرح الرشيد ووقع منه موقعًا عظيمًا، وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والفقهاء ومشايخ بني هاشم، وبعث الأمان وأرسل معه جوائز وتحفًا كثيرة إليهم، ليدفعوا ذلك جميعه

---

(١) وفيها خرج الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب بفخ عند مكة، على الخليفة الهادي؛ وتبعه خلق كثير، وانتهت بمقتل الحسين، وجماعة كبيرة من أتباعه. الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص١٩٢، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٣٤.

(٣) يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، خرج مع حسين بن علي بفخ ضد الهادي، طلبه الرشيد فاختفى منه، وخافه يحيى فلحق بالديلم واجتمع إليه قوم كثير، فوجه إليه الرشيد: الفضل بن يحيى بن خالد وأعطاه الأمان، فقدم به على الرشيد فأذن له، فرجع إلى المدينة، وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربعمائة ألف دينار من بيت المال، وعاش بعد ذلك كله شهرًا واحدًا، ثم مات ببغداد عام ١٧٦هـ/٧٩٣م . ابن سعد: (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) الطبقات الكبرى، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٥، ص٤٤٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٦٨.

(٤) إقليم القزّ والصوف، به صنّاع حذّاق، به خمس كور أوّلها: خراسان، وقومس، ثم جرجان، ثم طبرستان، ثم الدّيلمان، كثير الأمطار، فواكه تحمل إلى الآفاق. المقدسي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ج١، ص٣٥٣.

(٥) ابن الوزير الكبير أبي علي يحيى بن خالد بن برمك الفارسي ، كان وسيمًا، فصيحًا، مفوهًا، أديبًا، عذب العبارة، حاتمي السخاء، وكان من ذوي البيان والبلاغة، كان من أعظم الوزراء، له مقاليد الأمور، والتصرف في الممالك، ثم انقلب عليه الرشيد، وسجنه، مات يحيى مسجونًا، بالرقة، سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م، عن سبعين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٥٩.

إليه، ففعلوا وسلمه إليه [١]. فقدم يحيى بن عبد الله عليه وورد به الفضل بغداد، فلقيه الرشيد بكلِّ ما أحبَّ، وأمر له بمال كثير وأجرى له أرزاقًا سنيَّة، وأنزله منزلًا سريًّا، بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أيَّاما، وكان يتولَّى أمره بنفسه ولا يكل ذلك إلى غيره [٢].

وفي عهد الخليفة المأمون[٣] (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) الذي اتسمت سياسته بالحنكة والدهاء، حيث كان من أفضل رجال بني العباس حزمًا، وحلمًا، وعلمًا، ورأيًا، ودهاءً، فكان يميل إلى الفرس تارة، ثم إلى العلويين تارة أخرى، فاستطاع بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف، وأن يرضي جميع الأحزاب ويتغلب على معظم الصعاب، وكانت سياسته نحو العلويين تتسم بالعطف والتسامح، وكأنه أراد بذلك أن يتلافى مغبة السياسة القاسية التي سلكها آباؤه العباسيون نحوهم من قبل، وقد قام المأمون في سبيل ذلك بخطوة فريدة من نوعها احتار المؤرخون في تفسيرها، وهي قيامه في عام ٢٠١ هـ/٨١٧م ببيعة الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق[٤] بولاية العهد، ولقبه بالرضا من آل محمد، وزوَّجه ابنته أم

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٤٢، ٢٤٣، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص١٦٧، ١٦٨.

(٢) مسكويه: (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، طهران، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣، ص٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي القرشي الهاشمي، وُلد في ربيع الأول سنة ١٧٠هـ/ سبتمبر ٧٨٦م، أمه أم ولد يُقال لها : مراجل، روى الحديث عن أبيه، وعباد بن العوام، وإسماعيل بن علية، وغيرهم، وروى عنه ابنه الفضل، وإسحاق بن بشر، ويحيى بن أكثم القاضي، وغيرهم، برع في الفقه والحديث والأدب والفرائض والطب وغيره، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوّما، وذلك سوى سنتين كان دعي له فيهما بمكة وأخوه الأمين محمد بن الرشيد محصور ببغداد، مات عام ٢١٨هـ/٨٣٣م، وصلى عليه أخوه المعتصم، وهو ولي عهده، ودُفن بطرسوس في دار خاقان الخادم. الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٥٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٧٤، ٢٨٠.

(٤) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن الهاشمي العلوي، ولد: بالمدينة عام ١٤٨هـ/٧٦٦م ، سمع من: أبيه، وأعمامه؛ إسماعيل، وإسحاق، وعبد الله وغيرهم، وروي عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن رافع، مات عام ٢٠٣هـ/٨١٩م ، قيل: إنه أكل عنبًا، فأكثر، فمات فجأة، واغتم المأمون لموته. البغدادي: (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها، المعروف بتاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٩، ص١٣٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٣٨٧.

الحبيب، وأمر جنوده بطرح السواد شعار العباسيين، ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين، فلبسها هو وجنده، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم، وذلك أن المأمون رأى أن عليًّا الرضا خير أهل البيت، وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه، فجعله ولى عهده من بعده[١]. وقيل: إنَّ الفضل بن سهل[٢] هو الذي أشار على المأمون بالعهد لعلي بن موسى الرضى [٣] . ويُلاحظ أنَّ المأمون حينما جعل عليًّا الرضا وليًّا لعهده، واتخذ رايات العلويين الخضر شعارًا بدلًا من رايات العباسيين السود، إنما كان مدفوعًا في ذلك بشعور دينيّ وسياسيّ يرمي إلى كسب رضاء العلويين والخراسانيين على السواء، إلَّا أنّه يبدو مع ذلك أن المأمون لم يكن مخلصًا تمامًا في تحويل الخلافة إلى العلويين، بدليل أنه تراجع عن كل هذه الإجراءات حينما دعت الضرورة إلى ذلك، حيث يُروى أنَّ أهل العراق حينما بلغهم الخبر هاجوا وثاروا ورفضوا مبايعة علي الرضا، وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد العباس وخلعوا المأمون وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي[٤] خليفة عليهم ولقبوه بلقب

---

(١) ابن كثير : البداية، ج١٠، ص٢٤٧.

(٢) أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون، وقيل: أسلم الفضل وأخوه الحسن على يد يحيى بن خالد، فاختاره يحيى لخدمة المأمون؛ فلهذا كان الفضل يرعى البرامكة، ويثني عليهم، ولقب بذي الرئاستين؛ لأنه تقلد الوزارة والسيف، قُتل بسرخس سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٨م، عن عمر ناهز إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص٣٣٦، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٢٠٦، ٢٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٧٣.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبو جعفر الهاشمي، أخو هارون الرشيد، ويعرف بابن شكلة، كان أسود اللون، ضخمًا، فصيحًا، فاضلاً، وكان يقال له الصيني- يعنى لسواده-، ولد في مستهل ذي القعدة سنة ١٦٢هـ/ يوليو ٧٧٩م، ولي إمرة الحج، وولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين، ثم عزله عنها، ثم أعاده إليها الثانية، فأقام بها أربع سنين، وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وأحد عشر شهرًا واثنا عشر يومًا، وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ٢٠٣هـ/ يونيو٨١٩م، فمكث مختفيًّا ست سنين وأربعة أشهر وعشرًا، وكان وافر الفضل، غزير الأدب، واسع النفس، مات عام ٢٢٤هـ/٨٣٩م ، عن عمر ناهز ثنتين وستين سنة . ابن عساكر: (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ دمشق، المحقق: عمرو العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٧، ص١٥٥، ١٥٦، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م، ج٤، ص١٣٠، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٢٩٠، ٢٩١.

المبارك [١]. كما وُثقت العلاقات أكثر في عهد المأمون من خلال المصاهرات التي تفعل ما لا تفعله السياسة والحروب، وذلك عندما زوَّج علي بن موسى الرضا ابنته أمَّ حبيب، وزوَّج محمد بن علي بن موسى ابنته أمَّ الفضل [٢].

كما قام المأمون بتعيين العديد من العلويين في ولاية الأقاليم، ففي عام ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م عين عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب[٣] واليًا على الحرمين، وهو الذي حج بالنَّاسِ في هذه السنة [٤]. وفي عام ٢٠٥هـ/ ٨٢١م عين المأمون إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي، أخو علي الرضا واليًا على اليمن ، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن واليًا عليها [٥]. ولعل المأمون أراد استمالة العلويين إلى جانبه؛ وذلك لتوطيد أركان خلافته، وخاصَّة بعد صراعه مع أخيه الأمين، وما أعقب ذلك من انقسام واضطراب.

وربما تكون بيعة المأمون لعلي الرضا بولاية العهد من بعده، حركة مناورة من المأمون للعلويين؛ لتهدئة الأمور والقضاء عليهم في الوقت المناسب [٦].

وبالجملة كان المأمون مضرب المثل في العفو؛ وهو القائل: " إني لألذ الحلم حتى أحسبني لا أوجر عليه. وقال: ليس على في الحلم مؤونة ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فذهب عنهم الخوف

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٩٣، ٩٤ ، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٨٤، السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص٢٢٦.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص٤، ص١٤١.

(٣) عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة، وقدم بغداد غير مرة، ولي المدينة، ومكة، وكان عليها سنين ثم عزل عنها، وقدم بغداد، فمات بها في زمن الخليفة المأمون. البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٣١٣ .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٣١.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٤٩.

(٦) حورية عبدة سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، ط١، دار دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٩٧.

فتخلص لي قلوبهم[١]. وكان شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم، وخبره مشهور معهم، وكان يفعل ذلك طبعًا لا تكلفًا، فمن ذلك أنه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي العلوي[٢]، فحضر الصَّلاة عليه بنفسه، ورأى النَّاسُ عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه[٣].

كما عفا المأمون عن الثائرين من الطالبيين بعد وفاة الإمام علي الرضا، ففي عام ٢٠٧هـ/٨٢٢م كان خروج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، ببلاد عك من بلاد اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد، وكان سبب خروجه أن العمال باليمن أساءوا السيرة، فبويع عبد الرحمن، فلما بلغ ذلك المأمون وجه إليه جيشًا جرارًا، وكتب مع قائدًا لجند بأمانه، فحضر الموسم، فلما فرغ من الحج سار إلى اليمن، فأتى عبد الرحمن فبعث إليه أمانه من المأمون، فقبل ودخل في الأمان[٤].

وهكذا فإن المأمون كان سياسيًّا فذًّا، حيث عمل من خلال إرضاء العلويين أن يظفر بتكوين وحدة سياسية من شتى الأحزاب، ولو أدى ذلك أن يكون من العلويين خليفة، ومن ثَمَّ يتحقق استتباب الأمن، وتوحيد القوى.

مما تقدم يتضح: أنَّ العلاقات بين العباسيين والعلويين كانت متأرجحة بين اللين والشِّدة، والحزم والعفو، فلم ينس العلويون أنَّ العباسيين قد خدعوهم واستبدوا بالخلافة دونهم، بعدما كان شعار الدعوة " الرضا من آل محمد"، وتبعًا لذلك ظهرت ثورات علوية تطالب بالخروج على العباسيين وانتزاع الخلافة منهم، وفي المقابل نجد أنَّ العديد من الخلفاء العباسيين – وفي مقدمتهم المأمون – لم ينسَوْا الدور المهم الذي قام به العلويون في إسقاط الخلافة الأموية، فأبانوا لهم جانب الصفح والعفو، وقلدوا بعضهم ولاية الأقاليم، مع أخذ الحذر والحيطة ممن يشكل خطرًا على خلافتهم.

(١) ابن طيفور: (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٥٤.

(٢) يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سكن بغداد، وحدث عن أبيه، وروى عنه علي بن حفص بن عمر العبسي، مات في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٧هـ/ أكتوبر ٨٥١م، ودُفن ببغداد، وصلى عليه عبد الله بن هارون ودخل قبره. البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٩٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٨٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٦٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٣٠.

المبحثُ الثَّانيُ: التسامحُ والعفو مع الأمراء والوزراء وموظفي الدولة.

مما لا شك فيه أنَّ الدولة العباسية قامت على أكتاف العديد من القادة والوزراء الذين كان لهم دور كبير في إرساء دعائمها، واعتمد عليهم الخلفاء في تسيير أمور الدولة؛ وقد أثبت العديد منهم كفاءة منقطعة النظير، ومِن ثَمَّ نالوا ثقة الخلفاء، فقربوهم وأدنوهم، وعهدوا إليهم بعظائم الأمور، فبرز العديد من القادة والولاة والوزراء والحجاب وغيرهم، لكن البعض منهم نالوا غضب الخلفاء؛ بسبب عدم طاعتهم لأوامرهم وخروجهم عن السياسة التي رسموها لهم، أو من خلال الوشاية، وذلك استوجب نقمة الخلفاء عليهم، ونظرًا لكفاءتهم ومكانتهم مال بعض الخلفاء إلى إقرار مبادئ التسامح والعفو نحوهم، والعمل على تطويعهم واستخدامهم في خدمة الدولة الوليدة.

وتتجلي أبرز صور التسامح والعفو في عهد الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) الذي اتسعت دائرة العفو في عهده لتشمل عددًا كبيرًا من القواد وكبار رجال الدولة، ويُعَدُّ عفو المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي من أشهر صور العفو والتسامح خلال العصر العباسي، وذلك أنَّ إبراهيم دعا لنفسه بالخلافة وخلع المأمون، وكان سبب ذلك أن المأمون لما كان بخراسان جعل علي بن موسى الرضا وليًّا للعهد، فشقَّ ذلك على العباسيين ببغداد؛ خوفاً من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين، كما أمر المأمون النَّاس بترك لباس السواد شعار بني العباس، وأمرهم بلباس الخضرة، فعزَّ ذلك على بني العباس، وكان من جملة الأسباب التي نقموها على المأمون، فبايعوا إبراهيم بن المهدي، ولقبوه بالمبارك، وقيل: سموه المرضي، وكانت مبايعته ببغداد يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٢٠١هـ/ ١٤ يوليو ٨١٧م ، حيث بايعه العباسيون في الباطن، ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة ٢٠٢هـ/ ٢٠ يوليو ٨١٧م، وخلعوا المأمون، وأظهروا ذلك، ونصبوا إبراهيم خليفة [١].

وقد بعث المأمون(١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) إلى شكلة أم إبراهيم بن المهدي عند دخوله إلى بغداد واختفاء إبراهيم منه يسألها عنه، ويهددها ويتوعدها إن لم تدل على مكانه، فبعثت إلى المأمون: يا أمير المؤمنين: أنا أمٌّ من أمهاتك، فإن كان ابني عصى الله جلَّ وعزّ َفيك فلا تعص الله فيَّ، فرَقَّ لها المأمون وأمسك عنها، فلم يطالبها بعد ذلك [٢].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص١٤٠، ١٤١، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٠٠، ١٠٥.

(٢) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص١٠١، ١٠٢.

وفي ربيع الأول عام ٢١٠هـ/يوليو ٨٢٥م، ظفر المأمون به وهو منتقب مع امرأتين، وهو في زي امرأة، فأخذه حارس أسود ليلاً، حيث أعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم؛ لئلا يسأله، فلما نظر الحارس إلى الخاتم تشكك في الأمر، وقال: خاتم رجل له شأن، ورفعهن إلى صاحب الشرطة، فأمرهن أن يسفرن، فامتنع إبراهيم، فجذبه فبدت لحيته، فدفعه إلى صاحب الجسر، فعرفه، فذهب به إلى باب المأمون وأعلمه به، فأمر بالاحتفاظ به إلى الغد (١).

ولما قبض عليه المأمون، جلس مجلسًا عامًّا، وأمر بإدخاله عليه، فلما مَثُلَ بين يديه سلم عليه سلام الخلافة، فقال: لا سلَّمك الله، ولا حفظك ولا رعاك، فلما مثل بين يديه قال: ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مدَّ له الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على التلف؛ وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك، فإنْ صفحت فبكرمك، وإنْ أخذت فبحقك، ثم استعبر باكيًّا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغاني عفوه، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب، قال المأمون: لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك، لبلغك إليه حسن توصلك ولطف تنصلك (٢). وأنشد قائلاً:

أتيت ذنباً عظيماً ... وأنت للعفو أهل

فإنْ عفوت فمنَّ ... وإنْ جزيت فعدل

فرقَّ المأمون له واسترجع، ثم أقبل على أخيه محمد المعتصم(٢١٨- ٢٢٧هـ/٨٣٣- ٨٤٢م) وجميع مَن حضر مِن خاصَّته، وقال: ما ترون في أمره؟ فأشار الكل بقتله، إلَّا أنّهم اختلفوا في القتل، فقال آخر: يا أمير المؤمنين، إن قتلته فقد وجدنا مثلَكَ قتل مثله، وإنْ عفوت لم نجد مثلك في العفو(٣).

وقيل: إن المأمون لما أطلق إبراهيم بن المهدي، أمر بمنعه من داري الخاصَّة والعامَّة، ووكَّل رجلاً من قِبَله يثق به؛ ليعرفه أخباره وما يتكلم به، فلما بلغ إبراهيم ذلك، تمثل بهذين البيتين:

يا سرحة الماء قد سدت موارده ... أما إليك طريق غير مسدود

---

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج٤، ص١٣٢، ١٣٣، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٤٢ـ ٥٤.

(٢) ابن عبد ربه: العِقد الفريد، ج٢، ص٢٤، ٢٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل، ج٨، ص٦٠٤، ٦٠٦، الإتليدي: (محمد بن دياب الإتليدي ت ق ١٢هـ/١٨م)، نوادر الخلفاء المشهور بـ﴿إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس﴾، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م، ج١، ص٢٢٩.

لحائم حام حتى لا حيام به ... مشرد عن طريق الماء مطرود

فلما قرأها المأمون(١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) بكى، وأمر بإحضاره من وقته مكرمًا، وإجلاسه في مرتبته، فصار إليه محمد، فبشره وأمره بالركوب فركب، فلما دخل على المأمون قَبِلَ البساط، وأنشأ يقول:

تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به ... فلا عدمناك من عاف ومنتقم

فقال له: اجلس يا عم آمنًا مطمئنًا، فلست ترى مني ما تكره، إلا أن تحدث حدثًا، وأرجو ألا يكون منك ذلك، إن شاء الله ـ تعالى ـ[١]. والله لا رأيت منِّي طول أيَّامي شيئًا تكرهه وتغتمَّ به، ثم أمر بكلِّ ما قُبِضَ له من الأموال والدُّور والدَّواب والضِّياع أن تردَّ عليه، وأعاد مرتبته، وأمر له في تلك السَّاعة بعشرة آلاف دينار، وانصرف مكرمًا مخلوعًا عليه، واشتهر في الخاصَّة والعامَّة عفو أمير المؤمنين عن عمِّه، فحَسُنَ موقع ذلك منهم، واستوسقوا على الطَّاعة والموالاة، والشِّكر والدُّعاء[٢].

ومن أشهر صور العفو في عهد المأمون عفوه عن الفضل بن الربيع[٣]، وكان الفضل حاجب الرشيد والأمين، وكان في صحبة الرشيد إلى أن مات، فأكرمه الأمين وقربه وألقى إليه أن دبر الأمور، وعول عليه في المهمَّات، وفوض إليه ما وراء بابه، فكان هو الذي يولي ويعزل وتخلى الأمين مستريحًا، واحتجب عن النَّاسِ، فقال أبو نواس:

لعمرك ما غاب الأمين محمد ... عن الأمر يعنيه إذا شهد الفضل

ولولا مواريث الخلافة أنها ... له دونه ما كان بينهما فضل

وإن كانت الأخبار فيها تباين ... فقولهما قول وفعلهما فعل

أرى الفضل للدنيا وللدين جامعًا ... كما السهم فيه الفوق والريش والنصل[٤] .

---

(١) التنوخي: (المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ج٣، ص ٣٥١ .

(٢) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، ج٤، ص١٣٥.

(٣) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، حاجب الرشيد والأمين، كان أبوه حاجب المنصور والمهدي ، وكان من رجال العالم حشمة، وسؤددا، وحزمًا، ورأيًا، قام بخلافة الأمين، وساق إليه خزائن الرشيد، وكان في صحبة الرشيد إلى أن مات، فأكرمه الأمين وقربه وأسند إليه عظائم الأمور، مات عام ٢٠٨هـ/٨٢٣م. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٨٥ . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٩.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٨٥.

وصرح المأمون بإضمار الفضل بن الربيع له الشر والبغضاء منذ أيام والده الرشيد في محضر الفضل فقال : كان له عندي كالذي لي عنده، ولكني كنت أداريه؛ خوفا من سعايته، وحذرًا من أكاذيبه، فكنت إذا سلمت عليه فردَّ عليَّ أظل لذلك فرحًا، وبه مبتهجًا وكان صفوه إلى المخلوع (الأمين)، فحمله على أن أغراه بي، ودعاه إلى قتلي [١].

ولما تداعت دولة الأمين وانتقلت الخلافة للمأمون اختفى الفضل بن الربيع مدةً طويلةً، وكان له مقامات في سبِّ المأمون والتقليل منه، ولما بُويعَ إبراهيم بن المهدي ظهر الفضل وساس نفسَهُ، فلم يدخل معهم في شيء، ولهذا عفا عنه المأمون، وعندما دخل الفضل بن الربيع على المأمون، فلما توسط الدار وثب المأمون عن عرشه فصلى ركعتين، ثم التفت إليه قبل أن يسلم عليه بالخلافة، فقال: أتدري لم صليت يا فضل؟ ، فقال: لا يا أمير المؤمنين. قال: شكرًا لله؛ إذ رزقني العفو عنك، فقال الفضل: فلي حاجة يا أمير المؤمنين، قال: ما هي؟، قال: الرضاء، قال أجل لا يكون العفو إلَّا مع الرضاء، فأنشده لبعض الشعراء فيه:

صفوح عن الأجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرمًا

وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلمًا [٢].

وكان أحمد بن يوسف الكاتب[٣] قد تولى صدقات البصرة، فجار فيها وظلم، فكثر الشاكي له والداعي عليه، ووافى باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلاً من جُلَّة البصريين، فعزله المأمون، وجلس لهم مجلسًا خاصًّا، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم، فكان مما حفظ من كلامه أن قال: يا أمير المؤمنين، لو أن أحدًا ممن وَلِيَ الصدقات سلم مِن النَّاسِ لسلم رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُون}[٤]، فأعجب المأمون جوابه، واستجزل مقاله، وعفا عنه [٥].

---

(١) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص١٥، ١٦.

(٢) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص١٤، التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص٣٨٦، ٣٨٧ .

(٣) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح أبو جعفر الكاتب، أصله من الكوفة، ولي ديوان الرسائل للمأمون، كان من أفاضل الكُتَّاب، وأذكاهم، وأفطنهم، وأجمعهم، وكان جيد الكلام، فصيح اللسان، حسن الشعر، مات عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٤٢٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦، ص١١٤.

(٤)سورة التوبة، آية ٥٨.

(٥) ابن عبد ربه: العِقد الفريد، ج٢، ص٢١.

وفي عام ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م كان عفو المأمون عن نصر بن شبث[١]، الذي كان من قواد العباسيين، فشقَّ عصا الطاعة، وتمرَّد وخرج على المأمون، فأرسل المأمون قائده عبد الله بن طاهر [٢] لقتاله، فطلب الأمان، فأمنه، واشترط ألا يطأ بساط المأمون، فقال المأمون: لا والله حتى يطأ بساطي، وما باله ينفر مني؟! فقيل: لأجل جرمه وضيق عليه حتى طلب الأمان، فكتب له كتاب أمان وعفا عنه [٣].

ولما دخل المأمون بغداد ضمن لطاهر بن الحسين قضاء كل ما يسأله من حاجة، فما سأله حاجة لنفسه ولا لولده، ولكنه سأله العفو عن المجرمين في الفتنة وإلحاقهم بما كانوا عليه قبله في دواوينهم وعطائهم، وأن يضاعف أجر المحسنين، ففعل ذلك، ثم دعاه لرفع حوائجه، فلم يسأله شيئًا إلَّا إقامة الدولة لأهلها، ورد لباس السواد، وإطراح الخضرة، فأجابه إلى ما سأل من ذلك [٤]. و عتب المأمون ذات مرة على رجل من خاصته، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قديم الحرمة، وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة. فقال: صدقت. ورضي عنه [٥].

---

(١) نصر بن شبث العقيلي، من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، كان أسلافه من رجال بني أمية، وكانت إقامته في " كيسوم " بشمالي حلب، وفي أيامه حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، وقُتّل الأمين، فامتنع نصر عن البيعة للمأمون، وثار في كيسوم، وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سميساط، واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب، وقويت نفسه، وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي إلى أن انتصر عليه عبد الله بن طاهر، مات بعد عام بعد ٢١٠ هـ/بعد ٨٢٥م. الزركلي: (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م، ج٨، ص٢٣.

(٢) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أبو العباس الخزاعي الأمير، ولاه المأمون دمشق ومصر، وكان جوادًا عادلًا، عمر الربط بخراسان، ووقف لها الأوقاف، ووجه أموالًا عظيمة إلى الحرمين، مات بنيسابور عام ٢٣٠هـ/٨٤٥م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٩، ص٢١٦، ابن خلكان: (أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن خلكان الإربلي ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ج٣، ص٨٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص١٩٨، ٢١٠.

(٤) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص ٢٢.

(٥) ابن عبد ربه: العِقد الفريد، ج٢، ص٣٦.

ووقف أَحْمد بن عُرْوَة بَين يَدي الْمَأْمُون، لما عَزله عَن الأهواز، فَقَالَ لَهُ: "أخربت الْبِلاَد، وَقتلت الْعباد، لَأَفْعَلَنَّ بك وأصنعن، فَقَالَ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، مَا تحب أَن يَفْعَله الله بك إِذا وقفت بَين يَدَيْهِ، وَقد قرعك بذنوبك؟ قَالَ: العَفو، والصفح، قَالَ: فافعل بعبدك، مَا تحب أَن يَفْعَله الله بك. قَالَ: قد فعلت، ارْجع إِلَى عَمَلك، فوال مستعطف، خير من وَال مُسْتَأْنف" (١).

لقد كان المأمون مضرب المثل في التسامح والعفو، حتى قيل: إنه صار فطرة فيه، وقد تجلَّت مظاهر عفوه وسماحته في عفوه عن أبي دُلف(٢)، الذي كان بطلاً من أشراف العرب، وزعيمًا لإمارة همذان؛ إذ كان من أسرة كريمة نالت شهرةً عظيمةً وصيتًا واسعًا بين عشائرها وذوي البيوتات فيها، وكان من الذين انضموا إلى نصرة الأمين (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٩ - ٨١٣م) وشايعوه، فلما قُتل واستقلَّ المأمون بالخلافة، أبى أبو دُلف أن يدخل في طاعته، وآثر العودة إلى مسقط رأسه في فارس، فراسله المأمون يستميله، ويدعوه إلى بيعته، فلم يفعل، وقال: إن في عنقي بيعةً لا أجد إلى فسخها سبيلاً، ولكني سأقيم مكاني لا أكون مع أحد الفريقين إن كففت عني، فأجابه إلى ذلك، فأقام بالكرج، فلما خرج المأمون إلى الري راسل أبا دلف يدعوه إليه، فسار نحوه مجدًّا وهو خائف شديد الوجل، فقال له أهله وقومه وأصحابه: أنت سيد العرب، وكلها تطيعك، فإن كنت خائفًا فأقم، ونحن نمنعك، فلم يفعل، وسار وهو يقول:

أجود بنفسي دون قومي دافعًا ... لما نابهم قدما وأغشى الدواهيا

وأقتحم الأمر المخوف اقتحامه ... لأدرك مجدًا أو أعاود ثاويًا

فلما وصل إلى المأمون أكرمه، وأحسن إليه وأمنه، وأعلى منزلته (٣).

ولعل تجاوز الخليفة المأمون عن أبي دلف وسعة حلمه عليه؛ يعظِّم شأنه، ويدل على رحابة صدره .

---

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص٣٧٣.

(٢) أبو دلف عيسى بن إدريس بن معقل العجلي، أحد قواد المأمون والمعتصم، ولي إمرة دمشق للمعتصم، كان كريمًا، شجاعًا، جوادًا، قصده الشعراء من كل حدب وصوب، وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء، وصنف كتبًا منها: سياسة الملوك، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرخ فمات ولم يتمها فأتمها أبو دلف، مات عام ٢٢٦هـ/ ٨٤١م . الذهبي: أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٦٣، ابن كثير: البداية، ج١٠، ص٢٩٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٦١.

ومجمل القول: فإنَّ المأمون كان رجل سياسة ودهاء، فكان محببًا إلى بطانته وحاشيته بإحسانه إليهم، وتعهده إياهم بعطفه ورعايته، ويضاف لذلك أنَّ المأمون كان من أكثر خلفاء بني العباس إرساءً لقيم التسامح والعفو، ولا شك أن نشر مثل هذا، والعمل على تداولها فيه قدوة حسنة للحكام وأهل السياسة.

وللإنصاف أقول: لقد ارتكب المأمون واقعة كان فيها قاسيًا لدرجة كبيرة، فكان من الممكن أن يغلب فيها جانب العفو على الانتقام، فهذا الشاعر الأعمى، علي بن جبلة العكوك[١] الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء المبرزين، كان متصلاً بأبي دُلف، ومدحه بقصيدة مشهورة، ومنها:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين مغزاه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب غضبًا شديدًا ، وقال اطلبوه حيث ما كان، فطلب فلم يقدر عليه؛ لأنه كان مقيمًا بالجبل، فكتب إلى الآفاق بأخذه حيث كان، فهرب إلى الشام، فظفروا به فحمل مقيدًا إليه، فلما صار بين يديه قال له: يا ابن اللَّخْنَاء أنت القائل في قصيدتك لأبي دلف:

كل مَن في الأرض من عرب ... جعلتنا نستعير منه المكارم؟

قال: يا أمير المؤمنين! أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، قال: والله ما أبقيت أحدًا، وإنما أستحل دمك بكفرك حيث تقول:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال

وما مددت مدى طرف إلى أحد ... إلا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك هو الله، أخرجوا لسانه من قفاه، ففعلوا به، فمات من ذلك[٢].

---

(١) علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن أبو الحسن الخراساني، المعروف بالعكوك ، أحد فحول الشعراء، كان أسود، أبرص، أعمى، والعكوك: السمين القصير، ولد ببغداد سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، كان أحسن الناس إنشاداً، قال الجاحظ: ما رأيت مثله بدويًّا ولا حضريًّا، وهو من الموالي، توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م. الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نكث الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١، ص١٩٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٥٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٩٢.

فكان من الممكن أن يعفو عنه المأمون كما عفا عن سيده أبي دلف، وخاصَّة أن الرجل كان من ذوي الأعذار، ولا يشكل خطرًا على خلافته، ولكنه برر غيظه عليه بإلحاده، وصب جمَّ عضبه عليه، فكان يمكن استتابته من قوله هذا، والعفو عنه .

وصفوة القول: إنَّ العديد من خلفاء بني العباس قد عَمِلُوا من خلال علمهم بمكر السياسة ودهاء الحكم على استمالة عددٍ كبيرٍ من المعارضين، وذلك بإصدار عفو وأمان لهم لبعضهم، واستعمالهم في خدمة أغراضهم السِّياسيَّة .

المبحثُ الثَّالثُ: التسامح والعفو مع العلماء والرعية.

أوَّلًا: التسامح والعفو عن العلماء:

نسج العديد من خلفاء بني العباس خيوطًا من العلاقات الطيبة مع العلماء، حيث عملوا على تقريب العلماء وأكرموهم، وأغدقوا عليهم الأموال والعطايا؛ لتعزيز شرعيتهم، والإفادة من خبراتهم ومؤهلاتهم العلميَّة في إدارة مؤسسات الدولة، مما يسهم في استمالة طبقات المجتمع إلى جانبهم، ومن ثَمَّ كان للخلفاء العباسيين دورٌ كبيرٌ في رعاية العلماء وطلاب العلم، وعلى الرغم من ذلك فإنّ بعض العلماء قد اتخذوا موقفًا من خلفاء بني العباس، فوقفوا مع معارضيهم وأيدوا ثورتهم ضدهم؛ مما ترتب عليه استجلاب سخط ونقمة الخلفاء العباسيين عليهم، ومن أبرز هؤلاء: عفو المأمون عن الحارث بن مسكين[١]،حيث دخل الحارث على المأمون ذات مرة، فسأله عن مسألة فقال: أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد، وذكر قوله فلم يعجب المأمون، فقال: لقد تيست فيها وتيس مالك، قال الحارث بن مسكين: فالسامع يا أمير المؤمنين من التَيْسَيْنِ أتيسُ؛ فتغير وجه المأمون، وقام الحارث فخرج وتندم على ما كان مَنْ قوله، فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون، فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه؛ ثم أقبل حتى دخل عليه، فقربه المأمون من نفسه، ثم أقبل عليه فقال له: يا هذا، إن الله قد أمر من هو خير منك بِإِلَانَةِ القول لمن هو شر مني، فقال لنبيه موسى – عليه السَّلام – إذ أرسله إلى فرعون: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [٢]. قال: يا أمير المؤمنين، أبوء بالذنب، وأستغفر الرب، فقال: عفا الله عنك، انصرف إذا شئت[٣].

---

(١) عالم الدِّيار المصريَّة وقاضيها، سمع من اللَّيث بن سعد، وابن وهبٍ، وابن عُيينة، وروي عنه: أبو داود، والنَّسائي، وخلق، حُمل إلى بغداد، وسُجِن في المحنة فلم يُجِبْ، فلم يزلْ محبوسًا إلى أن ولي المتوكِّل، فأطلقَهُ، ثم ولَّاه قضاءَ مصر، ثم استعفى من القضاء سنةَ ٢٤٥هـ/٨٥٩م ، فأُعفي، مات سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، دار هجر، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨م ج١، ص٥٣٨، الدمشقي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي ت ٧٤٤ هـ/١٣٤٣م) طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص١٨٨، ١٨٩.

(٢) سورة طه، آية ٤٤.

(٣) ابن عبد ربه: العِقد الفريد، ج١، ص٥٥.

وكان المأمون قد سخط على الحسين الضحاك[١] الشاعر؛ لكونه هجاه عندما قتل الأمين، فدخل الحاجب على المأمون برقعة؛ فاستأذن في إنشادها؛ فأذن له: فقال:

رأى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبد

ألا إنما المأمون للناس عصمة ... مميزة بين الضلالة والرشد

فقال له المأمون: أحسنت؛ فقال: أحسن قائلها يا أمير المؤمنين، قال: ومَنْ هو؟ قال الحسين بن الضحاك؛ فقال: لا حيَّاه الله، أليس هو القائل:

فلا تمت الأشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك فيها مبددًا

ولا فرح المأمون بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريدًا مشردًا

هذه بتلك، ولا شيء له عندنا، قال الحاجب: فأين عادة عفو أمير المؤمنين؟، قال: أمَّا هذه فنعم، ائذنوا له؛ فدخل، فعاتبه المأمون، فقال يا أمير المؤمنين: لوعة غلبتني، وروعة فاجأتني، ونعمة استلبتها بعد أن غمرتني؛ فإنْ عاقبت فحقك، وإنْ عفوت فبفضلك؛ فدمعت عينا المأمون، فأمر له بجائزة، وردَّ رزقه عليه[٢]. ولما هجا دعبل[٣] المأمون، قال لهم: أسمعوني ما قال: فأنشدوه هذين البيتين من أبيات:

إني من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون: قبحه الله، ما أبهته! متى كنت خامل الذكر، وفي حجر الخلافة رُبِّيت، وبدُرِّها غُذِّيت، خليفة وأخو خليفة وابن خليفة، ثم وجد في طلب دعبل، حتى ظفر به، فلم يشك أحد في أنه قاتله، فلما دخل

---

(١) أبو علي البصري الشاعر المعروف بالخليع، وسمَّي الخليع؛ لكثرة مجونه في شعره، ولد عام ١٦٢هـ/ ٧٧٨م، أقام ببغداد ينادم الخلفاء دهرًا طويلاً، وله مع أبي نواس أخبار، وكان ظريفًا ماجنًا ،خفيف الروح، ، توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص٥٤، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١٨، ص٢٣٩.

(٢) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص٣٢٨- ٣٣٠، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) أبو علي دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي الشاعر، ولد عام ١٤٨هـ/٧٦٥م، كان شاعراً مجيداً، إلا أنه كان بذي اللسان، مولعاً بالهجاء، والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم، توفي سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٦٦، ٢٦٧.

عليه، قال له: يا دعبل، واستنقذوك من الحضيض الأوهد، فقال: يا أمير المؤمنين، قد عفوت عمن هو أعظم منى جرمًا، فقال: صدقت، لا بأس عليك، ثم وصله وأمنه [١].

ولما رفع قطرب النحوي[٢] كتابه في القرآن إلى المأمون، أمر له بجائزة وأذن له، فلما دخل عليه قال: قد كانت عدة أمير المؤمنين أرفع من جائزته، فغضب المأمون وهمَّ به، فقال له سهل بن هارون[٣]: يا أمير المؤمنين، إنه لم يقل بذات نفسه، وإنما غلب عليه الحصر، ألا تراه كيف يرشح جبينه ويكسر أصابعه، فسكن غضب المأمون واستجهله واستحمقه[٤].

ومجمل القول: إنَّ خلفاء بني العباس قد حرصوا على تقريب العلماء ورعايتهم؛ نظرًا لمكانتهم بين طبقات المجتمع، وما استتبع ذلك من التفاف النَّاسِ حولهم، فيشكلون خطرًا على خلافتهم، ومن ثَمَّ أبان العديد من الخلفاء العباسيين – وفي مقدمتهم الخليفة المأمون – جانب العفو والصفح إذا ما بدر من أحدهم ما يمكن أن يستجلب غضبهم وسخطهم عليهم، ثم العمل على تطويع هؤلاء العلماء في خدمة أغراضهم السِّياسيَّة والفكريَّة والدينيَّة.

---

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ، ج١، ص٣٨٢ ، ٣٨٣.

(٢) محمد بن المستنير، أبو علي البصري المعروف بقطرب، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه، وعن جماعة من علماء البصريين، كان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي، وكان أيام اشتغاله يبكر في تحصيل النوبة على سيبويه، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، فلزمه هذا اللقب، والقطرب دويبة تدب ولا تفتر، نزل قطرب بغداد وروي بها أشياء من تصانيفه، وروى عنه محمد بن الجهم السمري، وكان موثقا فيما يحكيه، مات في سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٦٧ ، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٣٠١.

(٣) سهل بن هارون بن الهيون بن راهيون الدستميساني، انتقل إلى البصرة، واتصل بخدمة هارون الرشيد، وارتفعت مكانته عنده، حتى أحله محل يحيى البرمكي، واتصل بخدمة المأمون، وتولى خزانة الحكمة له، وكان حكيمًا فصيحًا شاعرًا أديبًا، فارسي الأصل، شعوبي المذهب، شديد التعصب على العرب، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته مثل: كتاب ثعلة وعفراء على مثال كليلة ودمنة، وله رسائل وشعر، مات عام ٢١٥ هـ/ ٨٣٠م. الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ،تركي مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١٦، ص١٣، الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٤٣ .

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣٢٣.

ثانيًا: التسامح والعفو مع الرعية:

شرع الدين الإسلاميّ العقاب العادل للمذنبين، وندب معه التسامح والعفو، فترجيح جانب العفو والفضل والإحسان محمود وخاصَّة في المواضع التي بُنيت على التخيير بين العقوبة والعفو حتى يتقوى الجانب الإنساني، ويقود النَّاسَ على أحسن المناهج، ولاشك أن العديد من الخلفاء العباسيين قد أبانوا جانب التسامح والعفو مع رعاياهم؛ ليزدادوا حبًّا لهم، ويسود الأمن والاستقرار ربوع بلادهم، فالخليفة قدوة لهم، فعندما يعزز مفهوم التسامح والعفو وهو قادر على إنزال العقوبة، يكون ذلك نجاحًا في تعزيز التسامح والعفو بين جميع أفراد المجتمع. ويُعَدُّ الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/٨١٣ – ٨٣٣م) من أبرز خلفاء بني العباس الذين سطروا العديد من صور التسامح والعفو مع رعاياهم: فقد كان المأمون كثير العفو والصفح، ومما آثر عنه قوله: " لو عرف النَّاسُ حبي للعفو لتقربوا إلي بالجرائم وأخاف أن لا أؤجر فيه يعني لكونه طبعًا له"(١) .

وروي عنه قوله: أنا والله أستلذ العفو حتى أخاف أن لا أؤجر عليه، ولو علم النَّاسُ مقدار محبتي للعفو لتقربوا إليَّ بالذنوب(٢). وقال أحد خواصِّه: كان المأمون يعفو حتى يغيظنا (٣).

وقيل: إنَّ ملاحًا مَرَّ والمأمون جالس، فقال: أتظنون أن هذا ينبل في عيني، وقد قتل أخاه الأمين يشير إلى المأمون، فسمعه المأمون وظن الحاضرون أنه سيقضي عليه، فلم يزد المأمون على أن تبسم، وقال ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل (٤) .

ثم انظر مبلغ عفوه وحلمه وسماحة نفسه، حيث كان للمأمون خادم يتولى وضوءَهُ، فكان يسرق طساسه، فبلغ ذلك المأمون فعاتبه، ثم قال له يومًا: وهو يوضيه ويحك لم تسرق هذه الطِّست؟، لو كنت إذا

---

(١) السبكي: (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص٥٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٦٥.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٥٧، ابن تغري بردي: (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج١، ص١٤٣.

(٤)ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٦٤، السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٧.

سرقتها أتيتني بها اشتريتها منك، قال: فاشتر هذا الذي بين يديك، قال: بكم؟ ، قال: بدينارين، قال المأمون: أعطوه دينارين، قال: هذا الآن في الأمان؟، قال: نعم، وأنشد الشاعر يصف حلم المأمون وعفوه:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرمًا

وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلمًا

وأنشد لآخر فيه: أمير المؤمنين عفوت حتى ... كأن الناس ليس لهم ذنوب[١] .

ووقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية، فقال له: والله لأقتلنك، فقال يا أمير المؤمنين تأنَّ عليَّ، فإن الرفق نصف العفو، قال: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ فقال: لأن تلقى الله حانثًا خيرًا من أن تلقاه قاتلاً؛ فخلَّى سبيله وعفا عنه [٢].

ومدح البعض حلمه وعفوه فقال: لحلمه –والله– أرجح من حلوم ألف كلهم حليم ليس فيهم ملك ولا خليفة"[٣] .

ولما فتح المأمون حصن قُرَّة – من أعمال بلاد الروم – عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م وغنم ما فيه، اشترى السبي بستة وخمسين ألف دينار، ثم خلى سبيلهم وأعطاهم دينارًا دينارًا [٤].

وأتي المأمون بإنسان متنبئ، فقال له: ألك علامة؟ قال: نعم، علامتي أني أعلم ما في نفسك، قال: قربت علي ما في نفسي؟ قال له: في نفسك أني كذاب، قال: صدقت، وأمر به إلى الحبس فأقام به أيامًا، ثم أخرجه فقال: أوحى إليك بشيء؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الحبس، فضحك المأمون وأطلقه[٥].

و أذنب رجل من بني هاشم ذنبًا إلى المأمون، فعاتبه فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْ حمل مثل دالتي، ولبس ثوب حرمتي، ومت بمثل قرابتي، اغتفر له فوق زلتي، واعتذر رجل إلى المأمون من ذنب فقال له: إني وإن كانت زلتي قد أحاطت بحرمتي، فإن فضلك محيط بها، وكرمك موقوف عليها، وأنشد:

---

(١) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص ٥٦.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء،ج١، ص٢٣٤.

(٣) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص ٥٥.

(٤) ابن طيفور: بغداد، ج١، ص١٤٣.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٧، ص١٦٢.

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي ... فأحط بذنبي عفوك المأمولا[١].

وكان للمأمون خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: والكاظمين الغيظ، قال: قد كظمت غيظي عنك، قال: والعافين عن الناس، قال: قد عفوت عنك، قال: والله يحب المحسنين، قال: اذهب فأنت حر[٢].

وسرق شاب سرقة، فأتي به إلى المأمون فأمر بقطع يده، فتقدم لتقطع يديه، فأنشد الشاب يقول:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى نكالاً يشينها

فلا خير في الدنيا ولا راحةً بها ... إذا ما شمالٌ فارقتها يمينها

وكانت أم الشاب واقفةً على رأسه، فبكت وقالت: يا أمير المؤمنين إنه ولدي وواحدي، ناشدتك الله إلَّا رحمتني وهدأت لوعتي، وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة، فقال المأمون: هذا حدٌّ من حدود الله تعالى. فقالت: يا أمير المؤمنين، اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبًا من الذنوب التي تستغفر منها، فرَقَّ لها المأمون وعفا عنه[٣]. ودخل رجل من الخوارج على المأمون، فقال له المأمون ما حملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون}[٤]. قال المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم، قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة، قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل، قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين[٥].

ولا شك أن نجاح المأمون في إقناع ذلك المرتد يدل دلالة قاطعة على بصره بأحكام الشَّريعة، وعلمه بدقائق الدين وأنواع الخلاف بين العلماء، ناهيك عن تعمقه في دراسة نفسيات النَّاسِ وحياتهم الروحيَّة.

ومهما يكن من أمر فإن جنوح المأمون إلى العفو والتسامح وأخذه بالحلم قد غدا طبيعةً وسجيةً فيه، حتى قال القائل: أمير المؤمنين عفوت حتى كأن الناس ليس لهم ذنوب.

---

(١)ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٣١، ٣٢.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٦٠.

(٣) الاتليدي: إعلام الناس، ج١، ص٢٢٢.

(٤) سورة المائدة، من آية ٤٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٥٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٣٤.

ومجمل القول: إنَّ التحلي بالعفو والصفح واللين يحتاج إليه كثيرًا الحكامُ والولاةُ والقادةُ مع شيءٍ من الحزم والحكمة؛ ليستلوا من القلوب عداوتَهَا، وليضمنوا من الرعية والخواصِّ الإخلاصَ المحضَ والودَّ الصحيحَ.

الخاتمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آلهِ وصحبهِ ومَنْ اهتدى بهديهِ إلى يوم الدين . وبعد،،،

فقد تبين من خلال ما سبق أنَّ التسامح والعفو صفتان نابعتان من سماحة ديننا الحنيف الذي بُني على العدل والرحمة والمساواة، فالتسامح والعفو يكونان سببًا في: القرب من الله عزَّ وجلَّ، وقوة الإيمان، وتحقيق الرضا والعرفان والشكر، فالمولى -عزَّ وجلَّ- يعطي على العفو ما لا يعطي على الحق.

ومن أهم نتائج البحث ما يلي:

أوَّلًا: إنَّ العفو والتسامح حقيقتان ثابتتان دلَّت عليهما وأيدتهما ما ورد في كتاب الله – تعالي –، وما نصت عليه السَّنة النبوية، ومن ثَمَّ سار عليهما المسلمون والتزموا بهما، فالمسلم المتخلق بخلق العفو والتسامح يكون له شأن وعزٌّ في الدنيا والآخرة، كما أخبر النبي ﷺ: " ... ومَا زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عِزاً ... ".

ثانيًا: إنَّ أجواء التسامح والعفو والتصالح من معززات التقدم والتنمية، فلن ترقي أمة من أمم بدون إرساء مبادئ التسامح والعفو بين رعاياها.

ثالثًا: اتسمت سياسة الخلفاء العباسيين في مستهل خلافتهم بالحزم والشدة؛ وذلك لتثبيت أركان الدولة، والقضاء على ثورات الخارجين عليهم.

رابعًا: يُعَدُّ عهد المأمون من أزهى عهود بني العباس في إرساء مبادئ التسامح والعفو مع معارضيه والخارجين عليه، فقد أبان جانب الصفح واللين، لذا شهد عهده نهضة شاملة في كافة المجالات.

خامسًا: إنَّ إقرار قيم التسامح والعفو خلال هذه الفترة قد مكن المأمون من تعزيز دعائم خلافته، حيث عمل من خلال مكره بأمور السياسة على إصدار عفو لبعض الأمراء والقادة، ومِن ثَمَّ استخدامهم وتطويعهم لخدمة أغراضه.

سادسًا: لم تتوقف جهود المأمون عند إصدار العفو، بل أسند للعديد من معارضيه بعض الوظائف الهامة في الدولة، مثل: حكم الولايات، والقضاء، وغيرها.

التوصيات:

١ـ الاهتمام بدراسة الجوانب الأخلاقيَّة في الحضارة الإسلاميَّة، والتي تسمو بثقافة الشعوب والأمم، ومن ثَمَّ يسود المجتمعات التسامح والوئام والسلام بين أفراده.

٢ـ إقرار مبدأ العفو والتسامح في المجتمعات الإسلاميَّة، وذلك من خلال تخصيص مادة تعني بدراسة العفو والتسامح في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، وأثرهما في إقرار مبدأ التعايش والسلام بين جميع النَّاسِ، فلا شك أنه لا عِزَّ ولا رفعة ولا قيام للأمة الإسلامية إلَّا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ– والسعي إلى التسمك بقيم العفو والتسامح والصفح حتى يعود للمسلمين عزتهم وكرامتهم؛ إذ إن العفو والتسامح عنوانا الرقي والقوة في الإسلام.

٣ ـ العمل على ربط النَّاسِ بدينهم؛ فبالدين تسمو فيهم الأخلاق والقيم، ويترقى الجانب الإنساني، فلا شك أن لتعاليم الدين أثرًا كبيرًا في توجيه النفوس الضعيفة والقلوب المريضة نحو الأفضل بإذن الله.

٤ـ أن تعني المنابر الدعوية والإعلامية بتعزيز دعائم التسامح والعفو؛ للمحافظة على وحدة المجتمع وتماسكه.

هذا، فإنْ كان اجتهادي صابئًا فلله الحمدُ والمنة، وإنْ كان الأخرى فأرجو أن يكونَ لي أجر المجتهد.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

وصلى اللَّهُمَّ وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العَالمِين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر:

١ـ الإتليدي: محمد بن دياب الإتليدي (ت ق ١٢هـ/١٨م)، نوادر الخلفاء المشهور بـ﴿إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس﴾، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.

٢ ـ ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، عز الدين ابن الأثير ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣ ـ الأصفهاني: (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.

٤ـ البخاري: (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥ـ البغدادي: (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريها، المعروف بتاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦ـ البيهقي: (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٦م) مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٧ـ ابن تغري بردي: (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٨ـ التنوخي: (المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٩ـ الجاحظ: (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠ـ ابن الجوزي: (جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١ـ ابن حبيب: (محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٢ـ ابن خلكان:(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي الإربلي ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

١٣ـ خليفة بن خياط: (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، ط٢، دار القلم، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٤ـ أبو داود: (أبو داود سليمان بن الأشعث بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٥ـ الدمشقي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي ت ٧٤٤ هـ/١٣٤٣م) طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

١٦ـ الذهبي: (شمس الدين محمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٧ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٨ـ السبكي: (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٩ـ ابن سعد: (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) الطبقات الكبرى، المحقق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

٢٠ـ السيوطي: (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢١ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، تحقيق: حمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٢ـ نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٣ـ الطبري: (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢٤ـ ابن طيفور: (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٥ـ ابن عبد ربه: (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) العقد الفريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢٦ـ ابن عساكر: (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) تاريخ دمشق، المحقق: عمرو العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٧ـ الغزالي: (أبو حامد محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ/١١١٢م)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

٢٨ـ ابن كثير: (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٩ـ مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٠ـ المقدسي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.

٣١ـ مسكويه: (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، طهران، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٢ـ ابن منظور: (محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٣ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.

ثانيا: المراجع:

١ـ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ١١٠٥.

٢ـ حسن فاضل العاني: سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، المكتبة الوطنية، بغداد، العراق، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

٣ـ حورية عبدة سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، ط١، دار العالم العربي، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤ـ الزركلي: (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

٥ـ سميرة مختار الليثي: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٦ـ علي أدهم: أبو جعفر المنصور، ط١، دار الكاتب العربي، مصر، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٧ـ فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٨ـ مريم رزوقي وليد: الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول، ط١، العتبة الحسينية، العراق، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.